

جهدُ العلماءِ البصريّينَ في تطهيرِ منظومةِ القيمِ
والمبادئِ الخلقيةِ

الجاحظُ أنموذجاً من خلال كتابه «تهذيبُ الأخلاقِ»

Efforts of Basra Scholars in Identifying the
System of Ethical Values and Doctrines

Al-Jahez Book Refinement of Ethics as an Example

أ.م.د. خليل خلف الجبوريّ أ.م.د. رشيد الطيّف إبراهيم
جامعة تكريت / كلية الآداب / قسم التاريخ

Dr. Khaleel Kh. Al-Juboory, assistant professor

Dr. Rashid E. Ibrahim, assistant professor

(Department of History, College of Arts, University of Tikrit)

ملخص البحث

توضّح هذه الدراسة دور العلماء البصريين في فهمهم للمجتمع ودواخل النفس البشريّة، وهم بذلك حاولوا توضيح السيء من العادات والجيد منها، وهو ما يُعرف بالأخلاق، من خلال عالمٍ معروفٍ، هو أبو عثمان، عمرو بن بحر، البصريّ المولد والمهات.

وسنحاول أن نوضّح من خلال كتاب «تهذيب الأخلاق» للجاحظ، كيف أن الفكر الإسلامي لم يترك هذا الجانب، بل أسهم في توضيحه وبيان تعريفه، وبذلك حتمت علينا طبيعة الدراسة تقسيمه على مقدّمة وأربعة مباحث وخاتمة، تناول المبحث الأوّل الجاحظ نسبه وولادته وسيرته العلميّة، ولماذا ألف هذا الكتاب. وسرد المبحث الثاني الأخلاق الفاضلة التي ذكرها الجاحظ في كتابه، التي على كلّ فرد الالتزام بها لبناء مجتمعٍ سليمٍ، فقد أورد إحدى وعشرين سجيّة تناولنا منها عشرًا. وتطرّق المبحث الثالث إلى الأخلاق المذمومة التي على الفرد تجنّبها، وذكر الجاحظ ثلاثاً وعشرين سمّةً، اكتفينا بعشرٍ منها. وكان المبحث الرابع عمّا تشابه من سمات الأخلاق، والسمات الجامعة لمحاسن الأخلاق.

ومع ما كلّ ما تقدّم من معلوماتٍ حاولنا إسناد السّجايا التي ذكرها الجاحظ من أخلاقٍ محمودّةٍ أو مذمومةٍ، بما جاء في القرآن الكريم والسّنة النبويّة وأقوال آل البيت عليهم السلام في مدح الأخلاق الحميدة، وذمّ وترك الأخلاق السيّئة. ودُيِّلت الدراسة بخاتمةٍ تضمّنت أهمّ النتائج التي توصل إليها الباحثان.

Abstract

This research paper sheds light on the role of Basra scholars in understanding society and the psychology of human beings. They, therefore, sought to show the positive and negative aspects of customs known as morality. Al-Hafez book entitled Refinement of Ethics has been known as an example to pinpoint this particular aspect. The study is divided into an introduction, four sections and a conclusion. The first section tackles Al-Jahez career. The second section is about the righteous ethics that people have to follow to set up a perfect society. The third section deals with dispraised ethics that should be avoided. Al-Hafez mentioned 21 of such traits. The fourth section covers the traits of ethics. The paper shows also how the Holy Quran, Sunna (of the Prophet), and sayings of Aal Al-Bayt have commended praiseworthy ethics and prompted people to give up dispraised ones.

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه الأخيار. تُعدُّ مسألة الأخلاق من المسائل التي تأخذ حيزاً واسعاً من العلاقات الاجتماعية والثقافية؛ لذا، فقد أسهم العلماء قديماً وحديثاً في معالجة وتعريف الأخلاق، وبيان السيء منها والجيد.

توضّح هذه الدراسة دور العلماء البصريين في فهمهم للمجتمع ودواخل النفس البشرية، وهم بذلك حاولوا توضيح السيء من العادات والجيد منها، وهو ما يُعرف بالأخلاق، من خلال نظرٍ عالمٍ بصريٍّ مولداً ونشأةً ووفاءً، وهو أبو عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ.

وهذا الموضوع مهم؛ لأنه كما قال الجاحظ في كتابه موضوع الدراسة، في أهميّة هذا الكتاب أنّه قد ينتبه إليه «من كانت له عيوب قد اشتبهت عليه، وهو مع ذلك يظنُّ أنّه في غاية الكمال، فإنّ من هذه حاله، إذا تكرر عليه ذكر الأخلاق المكروهة، يقيظ لما فيه من ذلك، وأنف منه، واجتهد في تركه»، ولهذا اجتهدنا في اختيار هذا العنوان لبيان أهميّة الأخلاق.

سنحاول أن نوضّح من خلال كتاب الجاحظ «تهذيب الأخلاق»، كيف أنّ الفكر الإسلامي لم يترك هذا الجانب، بل أسهم في توضيحه وبيانه، وبذلك حتمت علينا طبيعة الدراسة تقسيمه على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة، تناول

الأول الجاحظ نسبه وولادته وسيرته العلمية، ولماذا أُلّف هذا الكتاب. وسرد المبحث الثاني الأخلاق الفاضلة التي ذكرها الجاحظ في كتابه، التي على كلّ فرد الالتزام بها لبناء مجتمعٍ سليمٍ، فقد أورد إحدى وعشرين سجيّة تناولنا منها عشرًا. وتطرّق المبحث الثالث إلى الأخلاق المذمومة التي على الفرد تجنبها، وذكر الجاحظ ثلاثاً وعشرين سمة اكتفينا بعشرٍ منها، وكان المبحث الرابع عمّا تشابه من سمات الأخلاق، والسمات الجامعة لمحاسن الأخلاق.

ومع ما تقدّم من معلومات فقد حاولنا إسناد السجاياء التي ذكرها الجاحظ من أخلاق محمودة أو مذمومة، إلى القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال آل البيت عليهم السلام، التي أسهمت في حثّ الناس عامّة والمسلمين خاصّة على الالتزام والعمل بالأخلاق الحميدة، وذمّ وترك الأخلاق السيئة.

وختمت الدراسة بأهمّ النتائج التي توصل إليها الباحثان.

وقد اعتمدت الدراسة طول البحث على نسخة تهذيب الأخلاق للجاحظ التي علّق عليها (إبراهيم بن محمد)، ونُشرت في دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع (١٩٨٩م)، مصر. فكانت هي المفتاح الرئيس للبحث.

المبحث الأول

أولاً: نسب الجاحظ وولادته وسيرته العلمية، وكتبه، وسبب تأليفه هذا

الكتاب

١- نسبه وولادته:

هو عمرو بن بحر بن محبوب، الكِنَافِيُّ بالولاء، كنيته أبو عثمان، المعروف بالجاحظ^(١)، أحد أعلام الكتابة والتأليف في العصر العباسي الثاني، العصر الذهبي للأمم في التأليف والترجمة (عصر هارون العباسي «١٤٩-١٩٣هـ» و المأمون العباسي «١٩٨-٢١٨هـ»)، عمل في ديوان الرسائل أيام المأمون^(٢)، وعُدَّ رئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة^(٣)، ورأس المدرسة النثرية الثانية. ولد في البصرة حدود سنة (١٥٠هـ/٧٦٧م)^(٤)، وتوفي فيها سنة (٢٥٥هـ/٨٦٨م)^(٥)، إثر وقوع مجلّدات من الكتب عليه^(٦).

٢- سيرته العلمية:

كان الجاحظ مولعاً بالعلم منذ صغره، فذهب إلى الكتّاب، ولكنه لم يستمر بسبب فقره، فوجد طريقة يتعلّم من خلالها بأن يعمل في النهار، ويكتري دكاكين الوراقين والمكتبات ليلاً، ليُطالع ما فيها من كتب^(٧). ثمّ عمد إلى حضور الحلقات الدّراسية التي تُقام في المساجد، التي كان

يحضرها الأدباء واللغويون والرواة وأصحاب الكلام، للنقاش في القضايا التي جدّ فيها الجدل^(٨).

ولم يكتفِ بأخذ العلوم في البصرة، بل كان يقصد بعض المدن آنذاك للبحث والاستقراء، ولقاء العلماء^(٩)، فدرس الفقه على يد أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم القاضي، ويزيد بن هارون^(١٠)، وغيرهما^(١١)، وتعلّم النحو من أبي الحسن الأخفش^(١٢)، وأخذ الكلام عن إبراهيم بن سيار بن هانئ الملقّب بالنظام^(١٣). أسهم كل ذلك في إلمامه بثقافة وعلوم عصره، فتصدّر للتعليم والمناظرات، فقصده العلماء والطلاب^(١٤). وهكذا كان الجاحظ عارفاً بالعلوم، إمام عصره، نابغة دهره.

٣- كتبه (مؤلفاته)

اختلفت الآراء بشأن مؤلّفات الجاحظ، وعددها، فهناك من يقول إنّها أكثر من مائتي مؤلّف، وهناك من قال إنّ له مائة وثلاث وتسعين^(١٥)، وقد أورد السندويّ للجاحظ مائة وتسع وخمسون مؤلّفاً^(١٦). ما يهّمنا هنا أنّ الجاحظ من خلال مؤلّفاته رفد العالم بكثير من العلوم التي ذاع صيتها، فكانت بحق مفخرة للبصريين.

فمن أشهر تلك الكتب: الحيوان^(١٧)، البيان والتبيين^(١٨)، سحر البيان، التاج ويُسمّى: أخلاق الملوك، البخلاء^(١٩)، المحاسن والأضداد، التبصّر بالتجارة، أحوثة العالم^(٢٠)، مجموع رسائل (المعاد والمعاش)^(٢١)، كتان السرّ وحفظ اللسان^(٢٢)، الجدّ والهزل، الحسد والعداوة، ذمّ القواد، تنبيه الملوك، الدلائل

والاعتبار على الخلق والتدبير، فضائل الأتراك، العرافة والفراسة، الرّبيع والخريف، الحنين إلى الأوطان، النّبِيّ والمنتبِيّ، المسائل في القرآن^(٢٣)، نظم القرآن^(٢٤)، العبر والاعتبار في النظر في معرفة الصانع وإبطال مقالة أهل الطوائع، فضيلة المعتزلة، صياغة الكلام، الأصنام، كتاب المعلمين، الجوارح، النساء، البلدان، جمهرة الملوك، الفرق في اللّغة، في تذكرة النوادر، البرصان والعرجان والعميان والحولان^(٢٥)، القول في البغال، كتاب المغنين، الاستبداد والمشاورة في الحرب^(٢٦). وتعدّ هذه المؤلفات المرجعية لكثير من الدّراسات.

٤- أسباب تأليف كتاب (تهذيب الأخلاق)

بيّن الجاحظ الأسباب التي دعتّه إلى تأليف هذا الكتاب، بقوله: «إنّ الإنسان دائم البحث لأفضل الأمور لنفسه، وأشرف المراتب، وأنفس المقتنيات، ودائم البحث عن مكارم الأخلاق ومحاسنها، مبتعداً في كلّ أفعاله عن طرق الرذائل؛ وذلك بسبب تميّزه بالتفكير عن باقي الحيوانات، وليباهي أهل السؤدد والفخر، ويلحق بالعلی من درجات النباهة والمجد^(٢٧)؛.. فمن أجل ذلك وجب أن نقول في الأخلاق قولاً نبيّ فيه ما الخُلُق؟ وما علته؟ وكم أنواعه وأقسامه؟ وما المرضي عنه، المغبوط صاحبه، والمتخلّق به؟ وما المستثنى منها، الممقوت فاعله، والمتوسّم به؟ ليسترشد بذلك من كانت له همّة سنّية، تسمو إلى مباراة أهل الفضل، ونفس أبية تنبو عن مساواة أهل الدّناءة والنقص...»^(٢٨).

ويذكر أنّ الجاحظ قد علم من المجتمع الكثير، بسبب نظرتة الثاقبة الثائرة على الوضع الإنسانيّ، بفكره الاعتزاليّ، فهو توخّى فيه التوجيه والنقد، ليليّ

حاجة فنيّة في نفسه، الغاية منها هو إصلاح المجتمع بوجه عام^(٢٩).
يقع الكتاب في أربعة فصول، بمحتوى أربع وستين صفحة، الفصل الأول
«في تعريف الأخلاق - وأقسامها - وتأثيرها بالنفوس»، وتطرّق الفصل الثاني
إلى «أنواع الأخلاق وأقسامها»، والفصل الثالث، فكان «في وصف الطريقة إلى
السّموّ بالأخلاق»، أمّا الفصل الرّابع فكان «في وصف الإنسان الجامع لمحاسن
الأخلاق».

ثانياً: تعريف الأخلاق وأهميّتها

١- تعرف الأخلاق: تُعدّ الأخلاق الرّكيزة الأسمى التي يُقام عليها الواقع
المعاشيّ والوحي الإنسانيّ للبشر؛ لذلك فإنّ جميع الدّيانات السّماوية تحرص على
أخلاق الأمم، وهذا يذكّرنا بقول أحمد شوقي:

وإنّما الأممُ الأخلاقُ ما بقيتْ فإنّ همُ ذهبَتْ أخلاقُهُمْ؛ ذهبوا^(٣٠)

والأخلاق - كما يقول أهل اللّغة - سجيّة؛ لأنّ صاحبها قد قدر عليها، وفلان
خليق بكذا، وأخلق به، أي: ما أخلقه، أي: هو ممّن يقدر فيه ذلك^(٣١).
ويعرّف الجاحظ الخلق بأنّه «حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا رويّة
لا اختيار»^(٣٢).

أمّا مسكويه، فيقول: إنّ الخلق «حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر
ولا رويّة»^(٣٣).

وعلمُ الأخلاق: هو علمٌ موضوعه أحكام قيمية، تتعلّق بالأعمال التي
تُوصف بالحسن أو القبح^(٣٤)؛ ويعرّفه أحمد أمين بأنّه: علمٌ يوضّح معنى الخير

والشَّرُّ^(٣٥).

والخُلُقُ قد يكون عند بعض النَّاسِ غريزةً وطبعاً، وعند بعضهم لا يكون إلا بالرياضة والاجتهاد^(٣٦).

والتفاضل بين النَّاسِ في المجتمعات يكون بالأداب والمحاسن الذاتية، لا بالأموال، والأعراض^(٣٧).

ولذا، فالأخلاق نوعان: رديئة، وفاضلة، وما يميِّز الاخلاق الرديئة والفاضلة، أنَّ الأخلاق المكروهة موجودة في طباع النَّاسِ^(٣٨)، بل أنَّ منهم مَنْ يتفاخر بها، وهم شرار النَّاسِ^(٣٩)، أمَّا الأخلاق الفاضلة، فأصحابها ينتبهون لها بجودة فكرهم، وقوَّة تمييزهم على قبح الأخلاق الرديئة، بل يعملون لاجتنابها، وبذلك يكونون على طبعٍ كريمٍ، ونفسٍ شريفةٍ^(٤٠).

وأصحاب الأخلاق الرديئة يحتاجون إلى الإرشاد من خلال التدريب^(٤١)، والتعمل للعادات المحمودة، حتَّى ينصاعوا عنها^(٤٢)، ومَنْ لا تحنُّ نفسه لمفارقتها، ويؤثر الإصرار عليها، يكون طريق تهذيبهم بالقهر والتخويف، ثم العقوبة، إن لم يرعو بالتخويف^(٤٣).

٢- أهميَّة الأخلاق: لو لم تكن للأخلاق أهميَّة لما حثَّ عليها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، بل إن مسألة الأخلاق لا يمكن توجيهها وتفسيرها، وتأييدها، إلا في ظلِّ نظرية عبادة الله ﷻ^(٤٤)، بدليل ورود الكثير من الآيات والأحاديث التي تؤكِّد الأخلاق^(٤٥).

قال تعالى مخاطباً الرسول الكريم ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].
فهذه دلالة واضحة على عظم الخُلُق والأخلاق عند الباري ﷻ، بل هي أسمى

ما يكون، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠]؛ ففي تفسير هذه الآية أن «المُرَادُ بِهِ زَكَاةَ النَّفْسِ وَتَخْلِيصَهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ الدَّنِيئَةِ الرَّذِيئَةِ»^(٤٦)؛ وقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى: ١٤-١٥]، «أَيُّ: طَهَّرَ نَفْسَهُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيئَةِ»^(٤٧).

وحثت السنة النبوية على حسن الخلق، فقد ورد عن الرسول محمد ﷺ، قوله: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(٤٨)، وقال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ إِلَّا بِحُسْنِ الْخُلُقِ»^(٤٩).

وعن الإمام عليّ عليه السلام، قال: «لَوْ كُنَّا لَا نَرْجُو جَنَّةً وَلَا نَارًا وَلَا ثَوَابًا وَلَا عِقَابًا، لَكَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَطْلُبَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، فَإِنَّمَا تَمَّا تَدُلُّ عَلَى سَبِيلِ النَّجَاحِ»^(٥٠).
فمن الآيات والأحاديث والأقوال أعلاه، يتضح أن أحد الأهداف المهمة لبعثة الرسول الكريم محمد ﷺ هو ترقية النفوس وتربية الإنسان^(٥١).

هنا يجتم علينا الجواب على السؤال الآتي:

هل تؤثر الأخلاق بالنفوس؟

يذكر الجاحظ أن اختلاف الأخلاق وتنوعها بين البشر يعود إلى النفس التي تنقسم على ثلاث، وهي: النفس الشهوانية، والنفس الغضبية، والنفس الناطقة^(٥٢).

ثم يفصل في سرد النفوس، فيقول: إن النفس الشهوانية، هي للإنسان ولسائر الحيوانات، والتي يغلب عليها حب الشهوات والملذات، مثل المآكل والمشرب والمباضعة، فإذا تمكنت هذه النفس من الإنسان وانقاد لها، كان أشبه بالبهائم؛ لأن شغله الشاغل سيكون نحو الشهوات^(٥٣).

ومن سمات صاحب هذه النفس أنه سيكون قليل الحياء، عدوًّا لأهل الفضل، ميالًا إلى الخلوات، ومبغضًا لأهل العلم والورع والنسك^(٥٤).
بالمقابل، فإنه سيكون موددًا لأصحاب الفجور، محبًّا للفواحش، يستلذُّ عند استماعها، وتسره معاشره السُّخفاء، ويغلب عليه اللُّهو والهزل، وكلُّ ذلك سيدعوه إلى اكتساب الأموال بغير وجهها الشرعي؛ لأنَّ الملدّات تحتاج إلى الإنفاق^(٥٥).

ومن ينتهي إلى هذه الحالة، فهو يعدُّ أسوأ الناس خلقًا، ويصبح لزاماً على وليِّ الأمر تقويمه وتأديبه، وإبعاده أو نفيه، حتّى لا يختلط مع الناس^(٥٦).
ولقمع تلك النفس، على صاحبها العودة إلى كُتب الأخلاق، وتجنّب السكر؛ لأنّه يُثير النفس ويحملها على التهنّك، وارتكاب الفواحش، والإقلال من استماع الأغاني، والإقلال من الطّعام^(٥٧)، وهو ما أكّده أرسطو نقلاً عن مسكويه في أنّ الشّرير قد ينتقل بالتأديب إلى الخير^(٥٨).

أمّا النفس الغضبيّة، فيشترك في مواصفاتها الإنسان والحيوان، وميزتها الغضب والجرأة ومحبة الغلبة^(٥٩). وهي أقوى من النفس الشّهوانيّة، وأضرّ على صاحبها، في حال انقاد لها، فإن استنفذت هذه السّجايا في النفس البشريّة، فإنّه بالسّباع أشبه، فيكون جريئاً في حمل السّلاح على الإخوان والأولياء والعبيد، وإن غضب من حالته ولم ينتقم لنفسه، تجده يعود بالضرر على نفسه بالسّبّ واللّطم وشف اللّحية، وغيرها^(٦٠).

والنفس الغضبيّة تكون محبة للغلبة، ولتحقيق غايتها، فإنّها تقع في المهالك، فوثوبها على الناس، تجعل من الآخرين يُقدمون على الشّرِّ لكفّ شرّه، وأحياناً

يقوم بطلب الرئاسة، وهذه تحتاج إلى الأموال التي سيقتنيها بطرق غير شرعية، ويصل الحدّ بصاحبها إلى قتل من يناوئهم^(٦١).

وكيفية تأديب صاحب هذه النفس، فيكون من خلال الترويض أولاً، فإن استطاع الإنسان تأديبها وقمعها، فإنه سيكون حليماً وقوراً عادلاً محمود الطريقة^(٦٢).

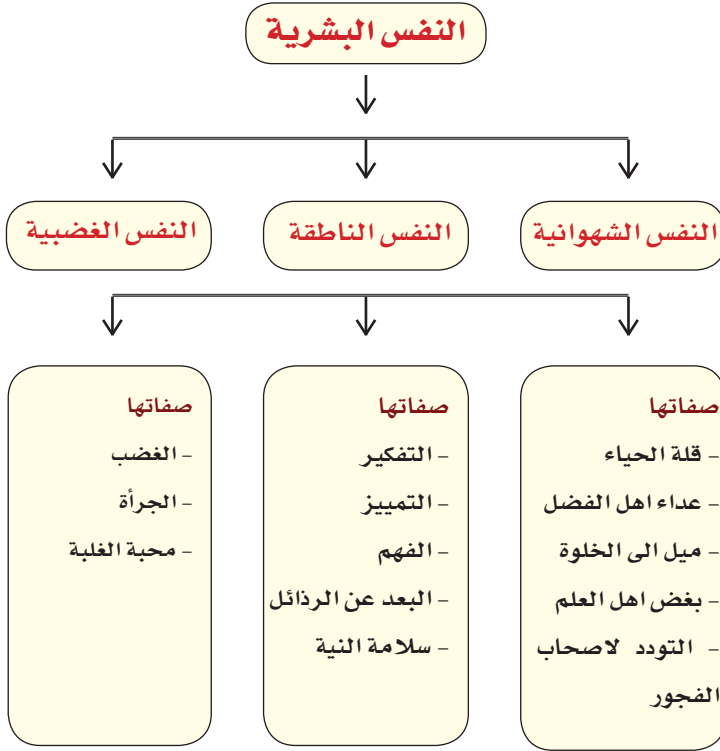
ولكي يخفف من شرو هذه النفس على صاحبها عدم حمل السلاح لا سيما في مجالس الخمر، وتجنب المسكر من الشراب؛ لأنه يهيج النفس الغضبية^(٦٣).

والنفس الثالثة هي النفس الناطقة، وهي التي يتميز بها الإنسان عن الحيوان^(٦٤)، من خلال التفكير والتمييز والفهم، وهما من السجايا التي شرف الله بها الإنسان، وبها يتمكّن من السيطرة على الشهوانية والغضبية، ويضبطهما^(٦٥).

ومن فضائلها اكتساب العلوم والآداب، وبعدها عن الرذائل والفواحش، وقهرها للنفسين الأخرين وتأديبهما، وسياسة صاحبها في أرزاقه ومروءته، وسلامة نيته والحلم والحياء والنسك والعفة وطلب الرئاسة بوجوهها المستقيمة^(٦٦).

ولها عيوب، منها: الخبث، والحيلة، والخديعة، والمكر، والحسد، والتشرّر، والرياء، ومعلوم أنّ هذه العيوب هي في كلّ النفوس، إلاّ إنّ هذه النفس استطاعت التغلّب على هذه العيوب والتحرّر منها، ولم تكن سمة غالبية عليها^(٦٧).

فلزماً على الإنسان أن يحرك فكره، ويميز أخلاقه، ويختار منها ما كان مستحسناً جميلاً، ويحمل نفسه على التشبّه بالأخيار، وتجنّب عادات الأشرار، فإنه إن فعل ذلك صار بالإنسانية متحققاً، وللرئاسة الذاتية مستحقاً^(٦٨).



الشكل من عمل الباحثين
يوضح أصناف النفس وصفاتها

المبحث الثاني

الأخلاق الفاضلة عند الجاحظ في كتابه (تهذيب الأخلاق)

وهي أحد أقسام الأخلاق التي وضحها الجاحظ في كتابه، وسنحاول في هذا المبحث أن نتطرق إلى أشهر سمات هذه الأخلاق والمعروفة في مجتمعاتنا؛ لأنّ التطرق إلى جميعها سيكون عبئاً على الدراسة، فالجاحظ أورد إحدى وعشرين سمة، هي: العفة، والقناعة، والتصون، والحلم، والوقار، والحياء، والود، والرحمة، والوفاء، والأمانة، وكتمان السرّ، والتواضع، والبشر، واللّهجة، وسلامة النية، والسّخاء، والشّجاعة، والمنافسة، والصّبر عند الشّدائد، وعظم الهمة، والعدل.

وسنختار منها عشر سمات، ونحاول ربط هذه السمات بما أيدها من القرآن والسنة النبوية:

أولاً: العفة^(٦٩): حدّد الله ﷻ العلاقات الجنسية التي تحافظ على عفة الإنسان، ذكراً كان أم أنثى بآياتٍ عديدةٍ، منها، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ* إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ* فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥-٧]. وذكر الجاحظ العفة من ضمن الأخلاق الكريمة للإنسان، فقال: يقصد بها ضبط النفس عن الشّهوات^(٧٠)، والاكتفاء «بما يقيم أود الجسد ويحفظ صحّته فقط، واجتناب

السرف والتقصير في جميع المذات»^(٧١). ويقع تحت العفة العديد من الفضائل، منها: الحياء، والصبر، والحريّة والدمائة، والورع^(٧٢).

ثانياً: القناعة: هي «الاختصار على ما سنع من العيش، والرّضا بما تسهّل من المعاش، وترك الحرص على اكتساب الأموال، وطلب المراتب العالية، مع الرّغبة في جميع ذلك، وإيثاره والميل إليه، وقهر النفس على ذلك، والتّنعّ باليسير منه»^(٧٣)، وفي هذا قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾* قَالَ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهُدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].
فالقناعة من الأخلاق الفاضلة لدى الإنسان، فلو عمل بها المجتمع لزال كثير من المشاكل.

وصفة هذه السّجّية مرغوبة في عامّة النّاس، وغير مستحسنة في الملوك^(٧٤) والأمرأ^(٧٥).

ثالثاً: الحلم: وردت كلمة الحلم والحليم في القرآن الكريم باسم الله ﷻ، فكانت صفة لله ﷻ، وظهرت في خمسة عشر موقعاً، فعظمة هذه السّجّية جعلها تقترن باسم الله، ولم يُغفلها الجاحظ، فعرفها بأنّها من السّجّايا الحميدة، فقال: ويقصد به ترك الانتقام عند شدّة الغضب، مع القدرة على ذلك، وهذه محمودة ما لم تؤدّد إلى ثلم جاه أو إفساد سياسة، وهي عند الملوك أرغب؛ لأنّهم أقدر على الانتقام^(٧٦).

وقال-أيضاً-: حلم الصّغير عن الكبير لا يُعدُّ فضيلة، بل يُعدُّ خوفاً لا حلماً^(٧٧).

رابعاً: الوقار: هو الإمساك عن فضول الكلام، وكثرة الحركة والإشارة، وقلة الغضب، والإصغاء عند الاستفهام والتوقف عن الجواب، والتحفظ من التسرع^(٧٨). هكذا عرّف الجاحظ الوقار، وعندما نقرأ لشخصية الرسول محمد ﷺ، نجد أن الوقار كان من سجايه الكثيرة، ففي الحديث الشريف: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَصْحَابُهُ مَعَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَتَأْذُنُ لِي فِي أَنْ أَتَقَدَّمَ إِلَيْكَ عَلَى طَيْبَةِ نَفْسٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، فَاقْتَرَبَ مُعَاذٌ إِلَيْهِ، فَسَارَا جَمِيعًا، فَقَالَ مُعَاذٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْ يَجْعَلَ يَوْمَنَا قَبْلَ يَوْمِكَ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ شَيْءٌ وَلَا نَرَى شَيْئًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، فَأَيُّ الْأَعْمَالِ نَعْمَلُهَا بَعْدَكَ؟ فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نِعْمَ الشَّيْءُ الْجِهَادُ، وَالَّذِي بِالنَّاسِ أَمْلَكُ مِنْ ذَلِكَ فَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ»، قَالَ: «نِعْمَ الشَّيْءُ الصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ»، فَذَكَرَ مُعَاذٌ كُلَّ خَيْرٍ يَعْمَلُهُ ابْنُ آدَمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَعَادِ بِالنَّاسِ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ»، قَالَ: «فَمَاذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: فَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى فِيهِ، قَالَ: «الصَّمْتُ إِلَّا مِنْ خَيْرٍ»، قَالَ: وَهَلْ نُوَاخِذُ بِمَا تَكَلَّمْتَ بِهِ أَلَسْتِنَا؟ قَالَ: فَضْرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَذَ مُعَاذٍ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ ثَكِلَتْكَ أُمَّكَ - أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ مِنْ ذَلِكَ - وَهَلْ يُكَبِّ النَّاسُ عَلَى مَنْ أَخْرَجَهُمْ فِي جَهَنَّمَ إِلَّا مَا نَطَقَتْ بِهِ أَلْسِنَتُهُمْ، فَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لَيْسُكَ عَنْ شَرٍّ، قُولُوا خَيْرًا تَعْنَمُوا، وَاسْكُنُوا عَنْ شَرٍّ تَسْلَمُوا»^(٧٩). فكان القرآن الكريم وسنة رسوله الكريم ﷺ مراجع حصيفه لعلمائنا الأفاضل.

خامساً: الحياء: تُعدّ هذه السجّية من الأخلاق الفاضلة للإنسان، فذكرها الله

سبحانه وتعالى من خلال قوله تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْثِيًا عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥]. ويقصد به هو غُضُّ الطرف والانتقاص عن الكلام حشمة للمستحيا منه، وهي محمودة، ما لم تكن عن عيٍّ أو عجز^(٨٠).

سادساً: الرَّحمة: يقول الجاحظ: إنَّ الرَّحمة مركَّب من الودِّ والجزع، ولا تكون إلا لمن تظهر منه لراحمه خلة مكروهة، فالرَّحمة هي محبة للمرحوم، مع جزع الحال التي من أجلها رحم^(٨١).

وهي حالة مستحسنة، ما لم تخرج بصاحبها عن العدل، ولم تنته به إلى الجور، وفساد السِّياسة، وبذا فليس بمحمود رحمة القاتل، والجانبي عند القصاص^(٨٢). وفي الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ، قال: «جَعَلَ اللهُ الرَّحمةَ مائةَ جُزءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعاً وَتِسْعِينَ، وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزءاً وَاحِداً، فَبِهَا يَتَرَاخَمُ الخَلْقُ، حَتَّى إِنَّ الفَرَسَ لَتَرْفَعُ حَافِرَهَا عَن وَلَدِهَا خَشِيَةً أَنْ يُصِيبَهُ»^(٨٣).

سابعاً: التواضع: وهي ترك التروُّس، وإظهار الخمول، وكرامية التعظيم، والزيادة في الإكرام، وتجنُّب المباهاة، والمفاخرة بالمال^(٨٤).

ولا يكون التواضع إلا في أكابر النَّاس ورؤسائهم وأهل الفضل والعلم^(٨٥). وقد وردَ «عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ خَطَبَهُمْ، فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ ﷻ أَوْحَى إِلَيَّ، أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(٨٦).

ثامناً: السَّخاء^(٨٧): بذلُ المالِ من غير مسألةٍ ولا استحقاقٍ، وهو مستحسن ما لم ينته إلى الإسراف والتبذير، وأن يكون في محلِّه، فالبذل لمن لا يستحقُّ تبذيراً^(٨٨).

وبذلك يقول مسكويه: إنَّ السَّخَاءَ وَسَطَ بَيْنِ رَذِيلَتَيْنِ، الْبَخْلِ وَالْإِسْرَافِ^(٨٩). وهو عند النَّاسِ فَضِيلَةٌ، وَعِنْدَ الْمُلُوكِ أَمْرٌ وَاجِبٌ؛ لِأَنَّ بَخْلَهُمْ يُوَدِّي إِلَى ضَرَرٍ عَظِيمٍ بِمَلِكِهِمْ^(٩٠)، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنِيْسِرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٥-٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١٠].

تاسعاً: الصَّبر عند الشَّدائد^(٩١): وهو من فضائل الأخلاق، مركَّبٌ بين الوَقَارِ وَالشَّجَاعَةِ، وَهُوَ أَمْرٌ مُسْتَحْسَنٌ، لِأَسِيْمَا إِنْ كَانَ الْجَزْعُ غَيْرَ نَافِعٍ، وَالْحَزَنُ وَالْقَلْتُ غَيْرَ مُجْدِيَيْنِ^(٩٢)، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

عاشراً: العدل: وهو القسط اللازم للاستواء، واستعمال الأمور في أماكنها ووجوهها ومقاديرها، من غير إسرافٍ ولا تقصيرٍ، ولا تقديمٍ ولا تأخيرٍ^(٩٣). وعندما نزلت آية من القرآن تتكلم عن العدل، نزلت بصيغة أمر، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]. فالأخلاق الفاضلة، هي الأخلاق التي حثَّ عليها القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية المطهرة، ما حثَّ عليها إلا لبناء مجتمع خالٍ من الفساد والتباغض والفحشاء.

المبحث الثالث

الأخلاق المذمومة في كتاب (تهذيب الأخلاق) عند الجاحظ

لم يكتفِ الجاحظ في كتابه بذكر الأخلاق الفاضلة، بل سردَ لنا الأخلاق المذمومة، التي - كما قال - بأنها منتشرة ومعروفة عند كثير من الناس، مثل: البخل، والجبن، والظلم، والتشّرر، بل إنّها عادات مجبولة عند أكثر الناس^(٩٤)، ويذهب إلى أكثر من ذلك، فيقول: «بل قلماً يوجد في الناس من يخلو من خُلُقٍ مكروه، ويسلم من جميع العيوب، ولكنهم يتفاضلون في ذلك»^(٩٥)، ويذكر السبب؛ «لأنّ الغالب على طبيعة الإنسان الشّر»^(٩٦).

أورد الجاحظ ثلاثاً وعشرين سمة، وهي: الفجور، والشّر، والتبدّل، والسّفه، والخرق، والقحّة، والعشق، والقساوة، والغدر، والخيانة، وإفشاء السّر، والنميمة، والكبر، والعبوس، والكذب، والخبث، والحقد، والبخل، والجبن، والحسد، والجزع، وصغر الهمة، والجور. وسنختار منها عشرًا لتكون محور المبحث الثالث.

أولاً: الفجور: يقصد بالفجور هو «الانهك في الشّهوات، والاستكثار منها، والتوفّر على اللذات، والإدمان عليها، وارتكاب الفواحش، والمجاهرة بها، وباجملة السّرّف في جميع الشّهوات»^(٩٧). وقد بيّن الله سبحانه وتعالى أنّ هناك فرقاً كبيراً بين المتّقين والفجّار، قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿ص: ٢٨﴾.

ثانياً: القساوة: وهو التهاون بما يلحق الأذى بالغير، وهو مركَّب من البغض والشجاعة والقساوة، وهو مكروه، إلا من الجند وأصحاب السلاح المتولين للحروب^(٩٨). وقد نهى الله تعالى عن القسوة، وقسوة القلب بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤]. وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ﴾ [الزمر: ٢٢]. فالقسوة من قسوة القلوب التي حذر منها القرآن الكريم.

ثالثاً: الغدر: وهو العودة عما بذله الإنسان على نفسه من الوفاء، وهو مستقبح وإن كان فيه مصلحة، وبالمملك والرؤساء أقبح، ولهم أضر^(٩٩). وهو من العادات والأخلاق المنبوذة التي نهت عنه السنة النبوية؛ إذ قال الرسول الكريم ﷺ: «المكْرُ والحِدْيَةُ والخِيَانَةُ فِي النَّارِ»^(١٠٠).

رابعاً: الخيانة: هي الاستبداد بما أؤتمن على الإنسان من الأموال والأعراض، ومُجاهدة مودعه، وتحريف الأخبار والرسائل عن وجوهها^(١٠١). ودائماً ما يقترن الغدر بالخيانة، فهما من أسوأ العادات والأخلاق التي يتخلق بها الفرد.

خامساً: الكبر^(١٠٢): من الأخلاق المذمومة التي نهى الله تعالى عنها في محكم كتابه العزيز، بقوله ﷺ: ﴿وَلَا تَمْسِرِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]. ولم يمر الجاحظ دون ذكر ذلك، فذكر: «أن استعظام الإنسان لنفسه، واستحسان ما فيه من الفضائل، والاستهانة بالناس واستصغارهم، والترفع على من يجب التواضع له، وهذا الفعل يبغض الناس

بصاحبه، ومن بغضه الناس ساء حاله»^(١٠٣).

سادساً: الكذب: جاء النهي عن الكذب في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، بل إنه كان منبوذاً في العادات والتقاليد العربية؛ إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]؛ وفي السنة النبوية أنه جاء رجل إلى الرسول ﷺ، فقال له: يا رسول الله، إني ارتكبتُ في السرِّ أربع ذنوب: الزنا، وشرب الخمر، والسَّرقة، والكذب، فأيتهن شئت تركتها لك، فقال له الرسول ﷺ: دَع الكذب. فذهب الرجل، وكلما أراد أن يهَمَّ بالخطيئة، يتذكَّر عهده مع الرسول ﷺ، ويقول ربِّها سألني، وعليَّ أن أكون صادقاً في الجواب، فيجري عليَّ الحدِّ، وإن كذبتُ، فقد نقضتُ العهد مع الرسول ﷺ، ممَّا اضطرَّه أخيراً لتركها أجمع^(١٠٤).

هذه القصة تبيِّن خطورة ممارسة الكذب؛ ولذا فقد أعطاه الجاحظ اهتماماً في كتابه، فقال عنه: هو الإخبار عن شيء بخلاف حقيقته، وهو مكروه ما لم يكن لدفع مضرة، لا يمكن دفعها إلا به، أو اجترار نفع لا غنى عنه، ولا يوصل إليه إلا به، فهو عند ذلك غير مستقبح، بل يُستقبح إن كان عبثاً، والكذب مستقبح عند الملوك والرؤساء أقبح^(١٠٥).

سابعاً: البخل^(١٠٦): من الآفات الخلقية العظيمة التي ذكرها الله في كتبه العزيز بقوله ﷻ: ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ٣٧]. وهناك آيات كثيرة تدمم البخل، ويقصد به: «منع المسترفد مع القدرة على رفده»^(١٠٧)، وهذا الخلق مكروه من جميع الناس، إلا أنه من النساء أقل، بل يستحب من النساء البخل، أمَّا الملوك

والعطاء، فالبخل أبغض عليهم من العامة^(١٠٨).

ثامناً: الجبن: هو الجزع عند المخاوف، والتردد عما تُحذر عواقبه، أو لا تؤمن مغبته، وهو مكروه من الكل، إلا إنه عند الملوك والجند أضر^(١٠٩).
وعن الرسول ﷺ في مزار الجبن، قال: «شَرُّ مَا فِي الرَّجُلِ شُحُّ هَالِعٍ، أَوْ جُبْنٌ خَالِعٍ»^(١١٠).

تاسعاً: الحسد: هو «التألم بما يراه الإنسان لغيره من الخير، وما يجده فيه من الفضائل والاجتهاد في إعدام ذلك الغير ما هو له»^(١١١). فعن الرسول ﷺ، قال: «لَا تَحَاسِدُوا، وَلَا تَبَاغِضُوا، وَلَا تَنَاجِسُوا، وَلَا تَدَابِرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، يُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعَرْضُهُ»^(١١٢).

عاشراً: الجور: يُعد الخروج عن الاعتدال في كل شيء من الأخلاق المكروهة وهو ما يُعرف بالجور، في السرف والتقصير، وأخذ الأموال في غير وجهها، والمطالبة بما لا يجب من الحقوق الواجبة، وفعل الأشياء في غير مواضعها ولا أوقاتها، ولا على القدر الذي يجب، ولا على الوجه الذي يجب^(١١٣).

عن النبي ﷺ، قال: «مَا مِنْ أَمِيرٍ عَشْرَةَ إِلَّا يُؤْتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَغْلُولًا، لَا يَفْكُهُ إِلَّا الْعَدْلُ، أَوْ يُوبِقُهُ الْجُورُ»^(١١٤).

فالأخلاق المذمومة أشر ما تكون على الفرد والمجتمع، فهي تُورث العنف، والتباغض، فعالجها العلماء، ومنهم الجاحظ الذي بين أوصافها، وحذر منها، معتمداً على ما جاء في القرآن والسنة وأقوال الصالحين.

المبحث الرابع

ما تشابه من سمات الأخلاق، والسمات الجامعة لمحاسن الأخلاق عند
الجاحظ في كتاب (تهذيب الأخلاق)

يُورد لنا الجاحظ أنّ هناك من الأخلاق ما تحتل الأمرين، فهي عند البعض فضيلة، وعند الآخر رذيلة، وهذه يجب الوقوف عندها وبيانها، وهي:
أولاً: حبّ الكرامة: ويقصد بها أن يُسرّ الإنسان بالتعظيم والتبجيل والمقابلة بالمدح والثناء الجميل، فهو عند أحداث السنّ محمود؛ لأنّه يحثّهم على محبة اكتساب الفضائل، أمّا عند أهل الفضائل، فلا يجب أن يقبلوا بالتعظيم، ولا يُسرّوا به؛ لأنّه إن زاد سيجري مجرى التملّق والسرور به، وهو غير محمود^(١١٥).
ثانياً: حبّ الرّينة: والتصنّع له بالظهور بمركوب فاره، وكثرة الخدم والحشم، فهو محمودٌ عند أهل الرّياسة والملوك^(١١٦)، ومذموم عند الرّهبان وأهل الدّين والشيوخ وأهل العلم والخطباء والواعظين، فلهم لبس العامّ والختن من الملابس، وكرهية التنعم^(١١٧).

ثالثاً: المجازاة على المدح: وهو مجازاة من يمدح إنساناً ويشكره في المجالس والمحافل، فهذا الخلق مستحسن من الملوك والأمراء؛ لأنّ المدح سيكون له ذكراً جميلاً خالياً من التملّق، ومن فضائل ذلك لهم بقاء ذكرهم الجميل^(١١٨).
أمّا العامّة من الناس وأصاغرهما، فمحبّتهم في مدحهم غير مستحسن؛ لأنّ

المادح إذا مدح الذئب من الناس، فإنما يخدعه^(١١٩).

وكثير من الناس إذا مدحوا بما ليس فيهم، يبادرون إلى مجازاة المادح، فيكونون قد وضعوا الشيء في غير موضعه^(١٢٠).

رابعاً: الزهد: وهو الرغبة بالعيش بأقل الحاجات من الأموال والأغراض، وهذا مستحسن من العلماء والزهاد والخطباء والواعظين، وغير مستحسن عند الملوك والعظماء؛ لأنه من هيبتهم، والملك لا يُقام إلا بالمال، ليزدب بها عن ملكه^(١٢١).

وربما يتبادر إلى الذهن سؤال: ما هي مواصفات الإنسان الجامع لمحاسن الأخلاق؟

لم يغفل الجاحظ عن ذكر ذلك، بل أورد فصلاً كاملاً عنه، وسنحاول بيانه، فيقول: الإنسان التام هو الذي لم تفته فضيلة، ولم تشنه رذيلة، فيردف بالقول، إلا إن التمام وإن كان عزيزاً، فهو بعيد التناول، إلا إنه ممكن وغاية ما ينتهي به الإنسان. ووصف محاسن^(١٢٢) الأخلاق بالصفات الآتية:

أولاً: التفقد للعيوب: من أوصاف الإنسان التام تفقده لعيوبه، متحرراً من دخول النقص عليه، مجتهداً في بلوغ الغاية لصورة الكمال، متلذذاً لكمال الأخلاق^(١٢٣).

ثانياً: القراءة والإحاطة: إن مما يُوصل الإنسان إلى غاية الكمال في الأخلاق هي معرفته بالعلوم الحقيقية، للإحاطة بماهية الأمور، وكشف عللها وغاياتها ونهاياتها، والاهتمام بقراءة كتب الأخلاق وسير السياسات^(١٢٤).

ثالثاً: الاقتصاد في الشهوات: إذ ينبغي لمن يبحث عن التمام في الأخلاق

أن يجعل لشهواته وملذّاته قانوناً راتباً، يقصد فيه الاعتدال، وتجنّب الإسراف والإفراط، ويعتمد ما كان من الشّهوات على ما كان من أوجهه المستحسنة، والابتعاد عن مخالطة الخلاء^(١٢٥).

رابعاً: التّعود على الكرم: وهو من السّجايا التي لها أجر عند الله، لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]. وهنا يكون من خلال عدم الاستبداد بالمأكل والمشرب وحده، بل يشرك إخوانه ومودّيه، وإن كان ملكاً، أن يُشرك حاشيته وندماءه^(١٢٦).

خامساً: الزّهد في المال، وحسن التصرف به: من كمال الإخلاق، الزّهد بالمال، والنظر إليه أنّه آلة تُنال منها الأغراض^(١٢٧). ويكون كسبه من وجهه، ويفرّقه في وجهه، والملوك يجب أن يحرصوا على جبي الأموال من حقّها وواجباتها، وصرّفاً على مستحقّيها، من أرزاق وجند وغيرهم، ويبرّوا المساكين، ويتفقدوا الغرباء^(١٢٨).

سادساً: ترك الغضب: يُعدُّ الغضب من العادات السيّئة في المجتمع، وقد نبّه الرّسول ﷺ عن الابتعاد عنه لما له آثار سيّئة على الفرد والمجتمع^(١٢٩)، فقد ورد «... أَنْ رَجُلًا أَتَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَّمَنِي كَلِمَاتٍ أَعِيشَ بِهِنَّ، وَلَا تُكْثِرَ عَلَيَّ فَأَنْسَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَغْضَبْ»»^(١٣٠)

فقال الجاحظ: ينبغي لمحَبِّ كمال الأخلاق تركه للغضب، فالغضبان يكون بمنزلة البهائم والسّباع، يفعل ما يفعل دون علم ولا روية، فإن علم صاحب الخلق ذلك، علم ما سيكون عليه من الوصف، فتراه يُججم عن الاقتصاص،

فيكون حليماً^(١٣١)؛ وترك الغضب يكون من خلال التفكير في الأخبار الواردة في كظم الغيظ، والعفو، وأن يخوف نفسه من عقاب الله، وأن يحذر نفسه عاقبة العداوة، وأن يفكر في قبح الغضب^(١٣٢).

سابعاً: محبة الناس والتودد إليهم، وحب الخير وإفهامه: وهذه تكون بالتعود على محبة الناس، والتودد إليهم... والرأفة والرحمة بهم، فالتناس تجمعهم الإنسانية وحلية القوة الإلهية^(١٣٣)، وأن يجعل همّه حبّ فعل الخير، وطلبه^(١٣٤)، وترك القبيح من العيوب والقبايح^(١٣٥).

ثامناً: كره التملق: من فضائل الأخلاق عند الإنسان كره التملق وإبغاضه، وله أن يحبّ من يهدي إليه شيئاً من عيوبه بالبشر والقبول^(١٣٦). فتكون هذه السجاياء هي الصفات التي إن تملكها الفرد، يكون له حظٌ كبيرٌ من الأخلاق الفاضلة.

الخاتمة

يُعدّ كتاب (تهذيب الاخلاق) للجاحظ من الكتب الاجتماعية المهمة التي لا غنى من الاطلاع عليه، لفائدته الكبيرة في ترسيخ وتهذيب أخلاق الفرد، ولبيان ما هو عليه من سجايا حميدة، وبعد العرض السابق للكتاب، نُلخّص أهمّ ما توصل إليه الباحثان من نتائج:

١- أسهم العلماء البصريّون في العلوم الإنسانيّة والعلميّة كافّة، وكان لهم دور كبير في تنشيط العلوم في كلّ المجالات.

٢- لقد أسهم الجاحظ، البصريّ المولد والمات، في إثراء المكتبة العلميّة بالكثير من الكتب التي تجاوزت المائة بكثير، وكان لكتبه أثرٌ في تقدّم ورقيّ العلوم آنذاك.

٣- ظهر الجاحظ في أواسط القرن الثاني الهجريّ، وهو القرن الذي تميّز بظهور العلوم العقليّة، والمذاهب الكلاميّة، وظهور واضح لعالم الترجمة، تمكّن خلالها من إثبات نفسه بوصفه أحد أعمدة العلوم الإنسانيّة الأدبيّة.

٤- تمكّن الجاحظ من الدخول في نفوس المجتمع، ما سهّل عليه ذلك في تأليف هذا الكتاب الذي يوضّح الكثير من طبائع المجتمع آنذاك، وما لها وعليها من سجايا. وذكر أنّ النفس البشريّة تقسّم على ثلاثة أصناف: الغضبيّة

والشهوانية، والناطقة.

- ٥- تمكّن الجاحظ من بيان إحدى وعشرين سمة وسجية فاضلة للأخلاق، مستمداً معلوماته عنها من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأقوال الصحابة رضي الله عنهم.
- ٦- سرّد الجاحظ في كتابه ثلاثة وعشرين سمة للأخلاق المذمومة، تشكّل السمات العامة لطبيعة البشر السيئة.
- ٧- ذكر الجاحظ أن هناك من السجايا من إن استخدمتها عيئة من المجتمع تكون سجية فاضلة، وإن استخدمتها عيئة أخرى تكون مذمومة.
- ٨- أورد الجاحظ ثمانية سجايا من الأخلاق يُمكن أن تكون هي الجامعة لمحاسن الأخلاق.

الهوامش

- ١- ياقوت الحموي، معجم الأدياء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس: ٨٧٢/٤؛ السندوي، حسن، أدب الجاحظ: ص ١٠.
- ٢- جبر، جميل، الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد: ص ٩.
- ٣- الزركلي، خير الدين، الأعلام: ٧٤/٥. يُطلق على أصحاب وأتباع الجاحظ من المعتزلة وغيرهم بالفرقة الجاحظية.
- ٤- ياقوت الحموي، معجم الأدياء: ٨٧٢/٤.
- كثير من المعطيات تؤكد أنّ الجاحظ ولد بعد هذا التاريخ عشر سنوات. يُنظر: بلاّت، شارل، الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء: ص ٩٢.
- ٥- ياقوت الحموي، معجم الأدياء: ٨٧٢/٤.
- ٦- الزركلي، الأعلام: ٧٤/٥.
- ٧- ابن النديم، الفهرست: ص ١٦٩؛ ياقوت الحموي، معجم الأدياء: ٨٧٢/٤.
- ٨- بلاّت، الجاحظ: ص ١١٠-١١٤.
- ٩- السندوي، أدب الجاحظ: ص ٢٣.
- ١٠- يزيد بن هارون: هو يزيد بن هارون بن زاذان بن ثابت السلمي بالولاء (١١٨ - ٢٠٦هـ)، الواسطي، أبو خالد، من حفاظ الحديث الثقات. كان واسع العلم بالدين، ذكياً، كبير الشأن. أصله من بخارى، ومولده ووفاته بواسط. قُدّر من كان يحضر مجلسه بسبعين ألفاً. وكان يقول: أحفظ أربعة وعشرين ألف حديث بإسنادها ولا فخر. الزركلي، الأعلام: ١٩٠/٨
- ١١- أحمد، عزّت السيّد، فلسفة الأخلاق عند الجاحظ: ص ١٣.
- ١٢- يعرف بالأخفش الأوسط، لا تُعرف سنة ولادته، لكنّه توفي سنة (٢١٥هـ)، هو: سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي، ثمّ البصري، أبو الحسن، نحوي، عالم باللُّغة

والأدب، من أهل بلخ. سكن البصرة، وأخذ العربية عن سيبويه. صنّف كتباً، منها (تفسير معاني القرآن - خ)، و (شرح أبيات المعاني - خ)، و (الاشتقاق)، و (معاني الشعر)، و (كتاب الملوك)، و (القوافي - خ) في دار الكتب مصوراً عن حسين شليبي (٣٣٠ أدبيات) وزاد في العروض بحر (الخبب)، وكان الخليل قد جعل البحور خمسة عشر، فأصبحت ستة عشر. الزركلي، الأعلام: ٣/ ١٠١-١٠٢.

١٣- بلات، الجاحظ: ص ١١٨؛ السندوي، أدب الجاحظ: ص ٢٨. والنظام: هو إبراهيم ابن سيار بن هانئ البصري (٢٣١-٠٠٠هـ)، أبو إسحاق النظام: من أئمة المعتزلة، قال الجاحظ: (الأوائل يقولون في كل ألف سنة رجل لا نظير له، فإن صحّ ذلك، فأبو إسحاق من أولئك). تبخر في علوم الفلسفة، واطلع على أكثر ما كتبه رجالها من طبيعيين وإلهيين، وانفرد بآراء خاصة تابعته فيها فرقة من المعتزلة سُميت (النظامية) نسبة إليه. وبين هذه الفرقة وغيرها مناقشات طويلة. وقد ألفت كتب خاصة للرد على النظام، وفيها تكفير له وتضليل. أمّا شهرته بالنظام، فأشباعه يقولون: إنّها من إجادته نظم الكلام، وخصومه يقولون: إنّ كان ينظم الخرز في سوق البصرة. الزركلي، الأعلام: ١/ ٤٣.

١٤- السندوي، أدب الجاحظ: ص ٢٣.

١٥- أحمد، فلسفة الأخلاق: ص ٢٢-٢٣.

١٦- السندوي، أدب الجاحظ: ص ١١٤-١٤٤.

١٧- كتاب ضخّم يصف طبائع الحيوانات شؤوناً، ولا علاقة له بعنوان الكتاب، فهو يضمّ بحثاً عن التعاليم الدينية من اليهودية إلى المانوية، فالزرداشتية إلى النصرانية، فالإسلام، وتطرّق فيه إلى الإلحادية، والغاية من تأليف هذا الكتاب هو تمجيد الخالق ﷻ وامتداح الإسلام في شرائعه. جبر، الجاحظ: ص ١٥.

١٨- إنّ من يطّلع على هذه المؤلفات لا يخرج إلّا وهو ممتلئ النفس بإحسان اللغة العربية. السندوي، أدب الجاحظ: ص ٣٩.

١٩- من أبدع ما ألفه الجاحظ، يُستفاد منه في أصول التدبير المنزلي، واستثمار المال، والانتفاع من أتفه الأشياء. السندوي، أدب الجاحظ: ص ١٢٥.

٢٠- السندوي، أدب الجاحظ: ص ١١٨.

٢١- هي من ضمن الرسائل التي حقّقها محمد طه الحاجري. يُنظر: الحاجري، محمد طه،

- مجموع رسائل الجاحظ: ص ١١٣-١٥٦.
- ٢٢- هي من ضمن الرسائل التي حَقَّقها محمَّد طه الحاجري. يُنظر: الحاجري، مجموع رسائل الجاحظ: ص ١٩١-٢٢١.
- ٢٣- ابن النَّدِيم، الفهرست: ص ٥٧.
- ٢٤- ابن النَّدِيم، الفهرست: ص ٥٧.
- ٢٥- عن محقق الكتاب البرصان والعرجان وسنة نشره، يُنظر: أحمد، فلسفة الأخلاق: ص ٢٥.
- ٢٦- الزُّركَلِي، الأعلام: ٧٤ / ٥.
- ٢٧- الجاحظ، تهذيب الأخلاق، قرأه وعلَّق عليه: أبو حذيفة إبراهيم بن محمَّد: ص ١٠.
- ٢٨- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١١.
- ٢٩- جبر، الجاحظ: ص ٢٥.
- ٣٠- نقلاً عن: مسكويه، تهذيب الأخلاق، تحقيق: عماد الهلايبي: مقدِّمة المحقق: ص ١١.
- ٣١- ابن فارس، معجم مقاييس اللُّغة، تحقيق: عبدالسَّلام محمَّد هارون: ٢ / ٢١٤.
- ٣٢- تهذيب الأخلاق: ص ١٢.
- ٣٣- تهذيب الأخلاق: ص ٢٦٥.
- ٣٤- الحرَّاز، خالد بن جمعة، موسوعة الأخلاق: ص ٢١.
- ٣٥- أمين، أحمد، الأخلاق: ص ٢.
- ٣٦- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٢.
- ٣٧- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٩.
- ٣٨- يقول جالينوس (ت ١٩٩ ق.م) نقلاً عن مسكويه: إنَّ النَّاسَ فِيهِمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ بِالطَّبِيعِ، وَفِيهِمْ مَنْ هُوَ شَرٌّ بِالطَّبِيعِ. تهذيب الأخلاق: ص ٢٦٦.
- ٣٩- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٤.
- ٤٠- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٤.
- ٤١- وهو ما أكَّده الغزالي من أنَّ تغيُّر الأخلاق من سيِّء إلى حسن ممكن، بدليل قوله عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «حَسِّنُوا أَخْلَاقَكُمْ». مبارك، زكي، الأخلاق عند الغزالي: ص ١٥٣.
- ٤٢- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٤.

- ٤٣- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٤.
- ٤٤- المطهري، مرتضى، فلسفة الأخلاق: ص ١٠٨. ويُنظر: الهاشمي، عبد الله، الأخلاق والآداب الإسلامية: ص ٩.
- ٤٥- وحدّد أحد الباحثين أنّ مصادر وأصول الأخلاق أربعة، هي: القرآن الكريم، والسنة والنووية، وأخلاق الصحابة، والعادات والتقاليد الإسلامية. المليجي، يعقوب، الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية: ص ٢٨-٣٠.
- ٤٦- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين: ١/ ٣٦٥.
- ٤٧- ابن كثير، تفسير القرآن: ٨/ ٣٧٣.
- ٤٨- البيهقي، السنن الكبرى: ١٠/ ٣٢٣.
- ٤٩- البيهقي، شعب الإيمان: ١٠/ ٣٧٣.
- ٥٠- نقلًا عن: الشيرازي، ناصر مكارم، الأخلاق في القرآن: ١/ ١٣.
- ٥١- الشيرازي، الأخلاق في القرآن: ١/ ١٠.
- ٥٢- تهذيب الأخلاق: ص ١٥.
- ويذكر مسكويه: أنّ النفس الشهوانية تسمى بالبهيمية، أمّا النفس الغضبية، فتسمى السبعية، والنفس الناطقة تسمى الملكية. يُنظر: تهذيب الأخلاق: ص ٢٤٨.
- ٥٣- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٥.
- ٥٤- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٦.
- ٥٥- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٦.
- ٥٦- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٦.
- ٥٧- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٤١-٤٣.
- ٥٨- تهذيب الأخلاق. ص ٢٦٧.
- ٥٩- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٧.
- ٦٠- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٧-١٨.
- ٦١- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٨.
- ٦٢- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٨.
- ٦٣- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٤٥.

- ٦٤- والإنسان صار إنساناً بالنفس الناطقة، فيها شارك الملائكة، وبها باين البهائم. مسكويه، تهذيب الأخلاق: ص ٢٧٩.
- ٦٥- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٩.
- ٦٦- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٩.
- ٦٧- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٠.
- ٦٨- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢١.
- ٦٩- يعرفها أحمد أمين بأنها: ضبط النفس، واعتدال الميل إلى اللذائذ، وخضوع ذلك لحكم العقل. الأخلاق: ص ١٦٢.
- ٧٠- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢١.
- ٧١- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢١-٢٢. ويُظن: مسكويه، تهذيب الأخلاق: ص ٢٥١.
- ٧٢- مسكويه، تهذيب الأخلاق: ص ٢٥٢.
- ٧٣- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٢.
- ٧٤- يؤكد الجاحظ أن أخلاق الملوك ليست كأخلاق العامة، فما مستحسن هنا، غير مستحسن عند الآخر. الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، تحقيق: أحمد زكي باشا: ص ١٧.
- ٧٥- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٢.
- ٧٦- تهذيب الأخلاق: ص ٢٣.
- ٧٧- تهذيب الأخلاق: ص ٢٣.
- ٧٨- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٣. وذكر مسكويه الوقار، فقال: هو سكون النفس وثباتها عند الحركات التي تكون في المطالب. تهذيب الأخلاق: ص ٢٥٤.
- ٧٩- النيسابوري، أبو عبد الله، الحاكم، المستدرک على الصحیحین: ٤/ ٣١٩.
- ٨٠- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٣.
- ٨١- تهذيب الأخلاق: ص ٢٤.
- ٨٢- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٤.
- ٨٣- ابن المبارك، أبو عبد الرحمن عبد الله بن واضح الحنظلي (ت ١٨١هـ)، الزهد والرفائق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي: ص ٣٦٧.

- ٨٤- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٥.
- ٨٥- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٥.
- ٨٦- ابن ماجة، سنن ابن ماجة: ٢/ ١٣٣٩.
- ٨٧- السَّخَاءُ سَخَاءَان، سَخَاءَ نَفْسِ الرَّجُلِ بِمَا فِي يَدَيْهِ، وَسَخَاوَتُهُ عَمَّا فِي يَدَيْ النَّاسِ. ابن المقفع، الأدب الكبير، تحقيق: أحمد زكي باشا: ص ٨٩.
- ٨٨- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٥.
- ٨٩- تهذيب الأخلاق: ص ٢٦٠.
- ٩٠- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٥-٢٦.
- ٩١- يذكر الغزالي أن الإيمان نصفه صبر، ونصفه الآخر شكر. إحياء علوم: ص ١٣٩٩.
- وهذا أصل حديث الرسول عليه الصلاة والسلام، قال: «الإِيمَانُ نِصْفَانِ: نِصْفٌ فِي الصَّبْرِ، وَنِصْفٌ فِي الشُّكْرِ». البيهقي، شعب الإيمان: ١٢/ ١٩٢.
- ٩٢- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٧. ويُصَيِّفُ مَسْكُوِيَهُ أَنَّ الصَّبْرَ: هُوَ مَقَاوِمَةُ النَّفْسِ لِلهَوَى لئَلَّا تَنفَادَ لِلرَّذَائِلِ. تهذيب الأخلاق: ص ٢٥٣.
- ٩٣- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٨.
- ٩٤- تهذيب الأخلاق: ص ١٣.
- ٩٥- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٣.
- ٩٦- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ١٣.
- ٩٧- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٢٨.
- ٩٨- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٠.
- ٩٩- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٠-٣١.
- ١٠٠- النيسابوري، المستدرک: ٤/ ٦٥٠.
- ١٠١- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣١.
- ١٠٢- يقسم الغزالي الكبر إلى: ظاهري، وباطني، فالظاهري، هو أعمال تصدر من الجوارح من خلال تعجب المرء بهاله، وعمله، والباطن هو خلق في النفس. مبارك، الأخلاق عند الغزالي: ص ٢٠٩.
- ١٠٣- تهذيب الأخلاق: ص ٣٢.

- ١٠٤ - نقلاً عن: الشيرازي، الأخلاق في القرآن: ١/ ١٠١.
- ١٠٥ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٢.
- ١٠٦ - يُفرد الغزالي للبخل في كتابه إحياء علوم الدِّين، ويجلب الآيات والأحاديث التي تدلُّ على ذمِّ البخل. الغزالي: ص ١١٣٤، وما بعدها.
- ١٠٧ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٣.
- ١٠٨ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٣.
- ومن أبواب البخل الغامضة التي أوردها ابن المقفَّع، أن لا تسابق الرجل إذا حدَّث حديثاً أنت تعرفه، وكأنَّكَ تُظهر للنَّاس أنَّكَ تعلم مثل الذي يعلم. الأدب الكبير: ص ١٢٤.
- ١٠٩ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٣.
- ١١٠ - الفاكهِّي، عبد الله بن محمد بن العباس (ت ٣٥٣هـ)، فوائد أبي محمَّد الفاكهِّي، تحقيق: محمَّد بن عبد الله الغباني: ص ١٢٩.
- ١١١ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٤. ولا ينبغي للوالي أن يجسد الولاية على حسن تدبير ولا يتهم. ابن المقفَّع، الأدب الكبير: ص ٢٦.
- ١١٢ - البيهقي، السنن الكبرى: ٦/ ١٥٣.
- ١١٣ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٤.
- ١١٤ - ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل: ١٥/ ٣٥١.
- ١١٥ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٥.
- ١١٦ - قال ابن المقفَّع: إنَّ النَّاس حريصون على تقليد الوالي في زيِّه. الأدب الكبير: ص ٢٨. وبذلك كلِّما كان زيُّه جميلاً ظهر ذلك في النَّاس في ملبسهم.
- ١١٧ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٥.
- ١١٨ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٦.
- ١١٩ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٦.
- ١٢٠ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٦.
- ١٢١ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٣٧.
- ١٢٢ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٤٩.
- ١٢٣ - الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٤٩ - ٥٠.

- ١٢٤- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٥٠.
- ١٢٥- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٥١.
- ١٢٦- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٥٢. ولذلك يذكر بأن: «أغنى الناس أكثرهم إحساناً». لكثرة ماله وعطائه. ابن المقفع، الأدب الصغير، تحقيق: أحمد زكي باشا: ص ٦٠.
- ١٢٧- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٥٣.
- ١٢٨- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٥٣-٥٤.
- ١٢٩- عن الغضب أنظر: الخراز، موسوعة الأخلاق: ص ٤٩.
- ١٣٠- مالك بن أنس، الموطأ: ٢/ ٩٠٥.
- ١٣١- تهذيب الأخلاق: ص ٥٥.
- ١٣٢- مبارك، الأخلاق عند الغزالي: ص ١٩٨.
- ١٣٣- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٥٥.
- ١٣٤- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٥٧.
- ١٣٥- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٥٩.
- ١٣٦- الجاحظ، تهذيب الأخلاق: ص ٦٠.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

المصادر الأوليّة:

- البيهقيّ، أحمد بن الحسين بن عليّ (ت ٤٥٨هـ).
١- السنن الكبرى، ط ٣، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠٠٣م.
٢- شعب الإيمان، حقّقه وراجع نصوصه وخرّج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندويّ، صاحب الدار السلفيّة ببومباي - الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفيّة، الهند، ٢٠٠٣م.
- الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ).
٣- تهذيب الأخلاق، قرأه وعلّق عليه: أبو حذيفة، إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث للنشر والتحقيق والتوزيع، طنطا، ١٩٨٩م.
٤- التاج في أخلاق الملوك، تحقيق: أحمد زكي باشا، المطبعة الأميريّة، القاهرة، ١٩١٤م.
- ابن حنبل، أبو عبد الله، أحمد بن محمد، الشيبانيّ (ت ٢٤١هـ).
٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م.
- الغزالي، أبو حامد، محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ).
٦- إحياء علوم الدّين، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٥م.
- ابن فارس، أبو الحسن، أحمد (ت ٣٩٥هـ).
٧- معجم مقاييس اللّغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.
- الفاكهي، عبد الله بن محمد بن العباس (ت ٣٥٣هـ).

- ٨- فوائد أبي محمد الفاكهي، تحقيق: محمد بن عبدالله الغباني، مكتبة الرشد، الرياض، شركة الرياض للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٨م.
- ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ).
- ٩- تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ.
- ابن ماجه، أبو عبد الله، محمد بن يزيد، القزويني (ت ٢٧٣هـ).
- ١٠- سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، مصر، (د.ت).
- مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ).
- ١١- الموطأ، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م.
- ابن المبارك، أبو عبد الرحمن، عبد الله بن واضح، الحنظلي (ت ١٨١هـ).
- ١٢- الزهد والرقائق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت ٤٢١هـ).
- ١٣- تهذيب الأخلاق، تحقيق: عماد الهلالي، منشورات الجمل، بيروت، ٢٠١١م.
- ابن المقفع، أبو محمد، عبد الله (ت ١٤٢هـ).
- ١٤- الأدب الصغير، تحقيق: أحمد زكي باشا، مطبعة مدرسة محمد علي الصناعية، مصر، الإسكندرية، ١٩١١م.
- ١٥- الأدب الكبير، تحقيق: أحمد زكي باشا، مطبعة محمد علي الصناعية، مصر الإسكندرية، ١٩١٢م.
- ابن النديم، أبو الفرج، محمد بن إسحاق (ت ٣٨٠هـ).
- ١٦- الفهرست، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).
- النيسابوري، أبو عبد الله، الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم (ت ٤٠٥هـ).
- ١٧- المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفی عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية،

بيروت، ١٩٩٠م.

- ياقوت الحمويّ (ت ٦٢٣هـ).

١٨- معجم الأديباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

المراجع الثانوية:

- أحمد، عزّت السيّد.

١٩- فلسفة الأخلاق عند الجاحظ، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م.

- أمين، أحمد.

٢٠- الأخلاق، ط ٢، دار الكتب المصريّة، القاهرة، ١٩٣١م.

- بلّات، شارل.

٢١- الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ترجمة: إبراهيم الكيلانيّ، دار البيقظة العربيّة

للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ١٩٦١م.

- جبر، جميل.

٢٢- الجاحظ ومجتمع عصره في بغداد، دار صادر، بيروت، (د.ت).

- الحاجريّ، محمّد طه.

٢٣- مجموع رسائل الجاحظ، دار النهضة العربيّة، بيروت، ١٩٨٣م.

- الحرّاز، خالد بن جمعة.

٢٤- موسوعة الأخلاق، مكتبة أهل الأثر، الكويت، ٢٠٠٩م.

- الرّزّكليّ، خير الدّين.

٢٥- الأعلام، ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م.

- السّندويّ، حسن.

٢٦- أدب الجاحظ، المطبعة الرّحمانيّة، القاهرة، ١٩٣١م.

- الشيرازيّ، ناصر مكارم.

٢٧- الأخلاق في القرآن، ط ٢، مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قم، ١٤٢٦هـ.

- مبارك، زكي.

- ٢٨- الأخلاق عند الغزالي، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١٢م.
- المطهري، مرتضى.
٢٩- فلسفة الأخلاق، ط ٢، مؤسسة أم القرى للتحقيق، لبنان، ٢٠٠٩م.
- المليجي، يعقوب.
٣٠- الأخلاق في الإسلام مع المقارنة بالديانات السماوية والأخلاق الوضعية، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥م.
- الهاشمي، عبد الله.
٣١- الأخلاق والآداب الإسلامية، دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٦م.